

القاهرة - المقطم - مجمع الفائزين الخيري

٢٨ من ذي الحجة ١٤٤٠ هـ / ٢٩ / ٨ / ٢٠١٩ م

السؤال الأول: ابني ينسى ما يذاكره، مع أنه يذاكر كثيراً، فهل هناك علاجٌ للنسيان؟ وما أفضل وقت للمذاكرة؟

آفة النسيان لها أسبابٌ كثيرة، ولو رجعنا بالذاكرة إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه، فقد كان لا يقرأ شيئاً إلا وحفظه، حتى أنه - لأنه كان فقيراً في المال في الدنيا - كان يذهب إلى حوانيت بيع الكتب، ويطلب من البائع الذي في الحانوت أن يريه كتاب كذا، فيعطيه إياه، فيستأذنه أن يقف جواره لحظات ليتصفحه، ويقرأ الكتاب، ثم يقدمه له مرة ثانية ويقول: لقد حفظته!!.

من أول مرة يقرأ فيحفظ، وهذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الفضلاء رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين، فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي بالقرآن، يقرأ على أصحابه، وكان من هديه صلى الله عليه وسلم التلث، يعني إذا قرأ يقرأ ثلاث مرات، وإذا دعا يكرر الدعاء ثلاث مرات، وإذا توضأ يكرر غسل العضو من أعضاء الوضوء ثلاث مرات.

فكان أغلب أصحابه يحفظون القرآن من أول مرة يسمعون منه من حضرته، وجزءٌ يحفظ من المرة الثانية، وآخرهم من يحفظ في المرة الثالثة. فالإمام الشافعي كان من هذا الصنف الأول، ويحكى عن نفسه أنه

كان يحفظ القرآن عند مؤدّب عظيم اسمه وكيع، وكان من العلماء العاملين، وكان حُفَاط القرآن وإلى عهد قريب من العلماء العاملين، وقد شهدتُ رجلاً منهم حصل على العالمية في السنوات الأولى من القرن العشرين من الأزهر، والعالمية كان لها شأنها، ورفض التعيين في الوظائف الحكومية وقال: يكفيني أن أعمل بقول النبي:

{ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ }^١

وفرغ نفسه لتعليم القرآن للمسلمين، فالإمام الشافعي رضي الله عنه كان من عاداته عندما يذهب إلى مكتب التحفيظ يُسَمِّع الجزء المقرر في لحظات، وذات يوم وهو ذاهبٌ إلى مكتب التحفيظ رأى فتاة تمشي في الشارع، وكان هناك نسمة من الهواء حركت ثيابها فكشفت ساقها فنظر إلى ساقها، فذهب إلى أستاذه ليتلو عليه ما حفظه فلم يستطع، وتلجج ولم يستطع أن يُسَمِّع ما طُلب منه في هذا اليوم، فقال معبراً عن ذلك رضي الله عنه:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي وأخبرني بأن العلم نورٌ ونور الله لا يُهدى لعاصٍ إذاً من أراد أن يستذكر ويُذكّر الله عز وجل ولا ينسى، عليه أن يكف بصره وأعضاءه وجوارحه عن جميع المعاصي والفتن.

لكن أبناءنا في هذه الأيام إن فاتته مشاهدة الذنوب والآثام في الشارع - وما أكثرها للغاديات والرائحات - أو فاتته المعاصي في المدرسة إن كانت مشتركة، يقلّب في هاتفه المحمول فيقع على ما لا يحمده الله، ولا يسره يوم

^١ صحيح البخاري والترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه

القيامه أن يراه، وزاد الأمر سوءاً، فكيف لمثل هذا وقد تعلقت بذاكرته هذه الصور المحرمة أن يستذكر ويحفظ ويجود؟!!!

إذاً الشرط الأول للإستذكار الجيد؛ الحفظ من المعاصي والفتن ما ظهر منها وما بطن.

الشرط الثاني: المحافظة على فرائض الله في أوقاتها في جماعة في بيت الله.

ويأتي معها بقية إجابة السؤال، فلا يوجد وقت للإستذكار أفضل من الوقت الذي بعد صلاة الفجر، وهذا أمر شاهدناه وجربناه في أنفسنا وسمعناه من غيرنا، لأن الإنسان عندما ينام تكفُّ الحواس عن النظر وعن الصيد من العالم الذي حوله، فيصفو القلب، فإذا صلى الفجر كان أول ما طرق قلبه كلام الله: " وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا " (الإسراء: ٧٨).

ولذلك كان من سُنَّة النبي صلى الله عليه وسلّم إطالة القراءة في صلاة الفجر حتى يزيد في شرح الصدر، والإنسان إذا قام للفجر لم يرتكب معصية، وهذا على العهد القديم، لكن على العصر الحديث ربما يظل إلى الفجر يطالع في هاتفه فيما نهي عنه الله، وبذلك لن يتحقق الأثر الذي قلناه.

لأن الآخر ينام ويتعد عن المعاصي بعداً تاماً، فإذا قرأ بعد الفجر أي شيء حفظه وجوَّده، ولذلك كنا نقول لبعضنا: النص الفلاني صعب جداً في الحفظ فماذا نفعل؟ نقول: نؤجله لبعده صلاة الفجر حتى يسهل حفظه.

وإذا كان بعضنا ضعيف في اللغة الإنجليزية ويصعب عليه جداً حفظ

الكلمات وحروفها، فنقول لبعضنا أن أحسن وقت لحفظ الكلمات بعد صلاة الفجر، حتى يكون الذهن رائق، والبال صاف، والقلب ليس فيه شيء من الذي يشغل الإنسان، فهذا أحسن وقت للإستذكار، ويكفي في هذا قول النبي صلى الله عليه وسلّم:

{ اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا }^٢

وقت بعد الفجر هو وقت البكور الذي دعا فيه حضرة النبي صلى الله عليه وسلّم بالبركة، كان الفلاح يذهب بعد صلاة الفجر إلى حقله فكان الزرع فيه بركة، والمواشي فيها بركة، وحتى الحطب كان فيه بركة.

أما الآن يسهر أمام التلفزيون ويذهب للحقل الساعة العاشرة، فماذا تفعل في هذا الوقت وأشعة الشمس حارقة؟! لكن ساعة البكور يكون الجو فيها جو الجنة، قيل لابن عباس: ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قيل: فما نورها؟ قال: أما رأيت الساعة التي تكون قبل طلوع الشمس كذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير^٣.

ما بين صلاة الفجر وشروق الشمس تكون الدنيا كلها منيرة، ولا توجد حرارة ولا سخونة، فهذا أحسن وقت للإستذكار.

وهذا الوقت ليعتاد الإنسان عليه لا بد أن ينام مبكراً، ويتعشى عشاءً خفيفاً، ولكن أولادنا الآن قد يتعشى الساعة الثانية، فهل يستطيع بعد الفجر أن يجلس ويذاكر؟! لا، لأن بخار الطعام يصعد إلى المخ فيأتي بالنوم على الفور، ويحضر الكسل والوخم!!.

٢ سنن الترمذي وأبي داود عن صخر الغامدي رضي الله عنه

٣ صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني

فالمحافظة على الفرائض في وقتها يساعد الإنسان على إجادة الاستذكار.

الشرط الثالث: النية، وهذا شرط هام فقد بين الأنام في هذه الأيام، فالإستذكار عمل، وأي عمل لا ينجح ولا ينال القبول إلا إذا سبقته نية، فما نيتك في الإستذكار؟! ولذلك علمونا مشايخنا رضي الله عنهم النية حتى في المذاكرة، فكان الشيخ محمد علي سلامة رضي الله عنه وأرضاه يقول لنا: عندما يذاكر الولد أو البنت ينوي بقلبه، أو يكرر بلسانه مع قلبه ويقول: نويتُ الإستذكار لنفع نفسي ونفع المسلمين أجمعين.

لماذا أذاكر؟ لأنفع نفسي أولاً، وأنفع المسلمين كلهم ثانياً، فأصبح بذلك في عبادة، لأن هذا عمل له أجر وثواب عند الله سبحانه وتعالى. هذه بعض الملاحظات التي لا بد للإنسان أن يلحظها لإجادة الإستذكار.

أما ما يذكره المحدثون من جودة الإضاءة، واتجاه الجلوس، ومثل هذه الأمور المستحدثة، فلم تكن موجودة عند السلف الصالح، وكان عندهم الإجادة والإفادة، وأذكر على سبيل المثال: لما أحرق المغول مكتبة بغداد، وكانت أكبر مكتبة في العالم في وقتها، ومن جهلهم وضعوا هذه الكتب في نهر دجلة، حتى أن هذه الكتب صنعتت سداً وعبروا عليه من كثرتها!.

فبعض العلماء الأجلاء كان حزيناً ومهموماً بسبب ذلك، فقال له صديق عالم: لماذا أنت حزين؟ قال: كيف نعوض هذه الكتب؟! فقال له: أنا أستطيع أن أُملي كل ما كُتِب في هذه الكتب التي كانت في مكتبة بغداد!!.

وماذا نكون نحن بجانب هؤلاء القوم؟! إذاً: " وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ " (٢٨٢ البقرة).

السؤال الثاني: ما حكم ظهور المؤخرة أثناء الصلاة لقصر التيشيرت (الفانلة)؟

إذا فقد شرطاً من شروط الصلاة لا تُقبل الصلاة، ومن شروط الصلاة أن يستر المؤمن عورته، وعورة المؤمن ما بين الصرة والركبة، فلا بد للصرة أن تكون مستورة والركبة مستورة، وإذا ظهر جزءٌ بين هذين يُصبح الإنسان مكشوف العورة، ولا يقبل الله تبارك وتعالى صلاته.

وقد لاحظت موضة جديدة عند بعض الأشخاص أنه يلبس شورت قصير وتظهر منه الركبة، فنبهتُ أن هذا لا تصح صلاته، فتريد أن تلبس الشورت شرطه أن يغطي الركبة، أو تريد أن تلبس تيشيرت شرطه أن لا يظهر جزء من العورة.

كان سلفنا الصالح يلبس تيشيرت تحت القميص أو الجلباب زيادة في الستر، والجلباب الجديد - وللأسف الرجال وتبعهم بعض النساء - يلبس الملابس الظاهرة بدون ملابس داخلية، وهذا لا يصح، كيف تلبس الملابس الخارجية فقط وتمشي في الشارع؟!.

فعندما يلبس التيشيرت بدون قميص داخلي فعند الركوع في الصلاة يظهر جزء من ظهره، وهذه عورة، وبذلك تبطل الصلاة، وليس لها تدارك كسجود سهو أو غيره، ولكن يعدل هيئته ويعيد الصلاة مرة أخرى.

السؤال الثالث: إذا كان هناك مريض ومرضه خطير ولا أمل في شفائه وهو في أيامه الأخيرة، يرى بعض الأطباء بضرورة مصارحته بحقيقة حالته حتى يستطيع فعل شيئاً في دنياه ينفعه في أخراه، والبعض الآخر من الأطباء يرى عدم إخباره بالأمر وتركه بدون أن يسبب له أذىً نفسي، فأى من المدرستين أقرب لروح الإسلام؟

أمرنا ربنا تبارك وتعالى أن نقندي بمن سبقونا في ميدان الفنون، كفن الطب، وفن الغناء، وكل الفنون العصرية، ولا نقندي بهم في العادات ولا الأخلاق ولا التقاليد ولا القيم، التي نأخذها من صريح الإسلام، لأنهم تفرغوا لهذه الأمور فتفوقوا فيها.

فنحن نتعلم منهم طريقة صنع الأطعمة المختلفة وألوانها وأصنافها، وطريقة صنع الملابس المختلفة، وتشكيلاتها وأنواعها، وصنع السيارات، وصنع الطائرات، وصنع الأسلحة الحربية، وكل هذه الصناعات نأخذها الآن من هؤلاء الأجانب.

ماذا قال الله في هؤلاء؟ " يَعْلمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " (٧الروم) الحياة الدنيا هم متفوقين فيها، فلا مانع أن نأخذها منهم، لكنهم: " وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ " (٧الروم) فلا نأخذ منهم شيء عن الآخرة.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم في هجرته عندما أراد أن يصطحب دليلاً عالماً بمفاوز الصحراء، لم يجد أحداً من المسلمين عالماً بهذه الأمور، ووجد رجلاً يهودي لم يثبت في التاريخ أنه أسلم، فاستأجره ليستدل به ويدله على الطريق.

وعندما كان صلى الله عليه وسلم يمرض كان يستعين بالأطباء من

النصارى واليهود، وغيرهم، لأن هذا علم عام، لكن علم الدين من القيم والأخلاق لا تكون إلا من علماء المسلمين، وخاصة العلماء العاملين.

فنحن عندما نستعين بهؤلاء في مثل هذه الأمور، لأن هذه تكنولوجيا عامة، فلا يوجد في العلوم الحديثة كيمياء إسلامية، ولا كيمياء أمريكية، ولا كيمياء يهودية، ولا كيمياء نصرانية، كلها كيمياء واحدة، والفيزياء كذلك، وكل العلوم الطبيعية على هذه الوسيلة.

فعندما نأخذ من هذه الأمور لا مانع أبداً أن نستعين بهؤلاء في هذه الأمور، لكن لا نأخذ منهم القيم التي أمرنا الله عز وجل أن نسير عليها. أما بالنسبة لمصارحة المريض بما يمرض به، فنحن نتعلم من الأمريكان والإنجليز واليابان وغيرهم في هذا الأمر، فما قاعدتهم؟ مصارحة المريض بما عنده، ولكن بطريقة لطيفة ليساعد نفسه في تحقيق الشفاء.

فعندما أعلم حقيقة المرض الذي عندي، وهذا المرض يقتضي أن أمتنع عن كذا وكذا، وأخذ دواء كذا وكذا، فأجتهد.

وأنا كمسلم يُضاف إليّ شيء ليس عند هؤلاء، أنني عندي يقين أن رب العالمين إذا أراد شفائي فإنما أمره كن فيكون، ولا حرج على فضل الله، فيكون دائماً عندي أمل، ومن يفقد هذا الأمل ويصاب باليأس جائز إنسان كافر، لكن المؤمن عنده دائماً الأمل في الله سبحانه وتعالى.

ولكن من العادات التي ورثناها عن آباءنا وكانوا غير متعلمين عدم إخبار المريض بما عنده، حتى لا يحدث له شيء أو يجزن فيموت، لكنه سيموت لا محالة، إن لم يكن اليوم فغداً أو بعد شهر، ولكن لا بد أن نخبره، أنه بين الحياة والموت، حتى يشغل نفسه بالاستغفار، وبذكر الله،

وبالصلاة على حضرة النبي، لأننا كلنا نريد حُسن الختام.
فالأفضل أنه كما أخذنا منهم هذه العلوم، نأخذ منهم هذا الأسلوب،
وهو مصارحة المريض، ولكن بطريقة لطيفة غير مؤذية.

السؤال الرابع: زوجي ميسور مادياً، ولكنه ضحّى مرة واحدة في حياته، وبعد ذلك يُخرج مال الأضحية في المستشفيات والأعمال الخيرية في نفس ميعاد الأضحية، ويقول: الكثير يذبح، واللحوم كثيرة ولكن المريض في حاجة للدواء والعلاج أكثر من حاجته للحوم، والمسلمة في حاجة للزواج والستر أكثر من حاجتها للطعام، فهل هذا أفضل في القبول عند الله أم الأضحية؟

هذا أكثر قبولاً عند الله، لأنه فهم الهدف الأسمى والأعلى من الدين، فيفعل ما يُرضي رب العالمين تبارك وتعالى.

لأن الأضحية ربما يكون فيها شيء من الشهرة، فأنا أضحى هذه السنة وأُنبه هنا وهنا بأني سأضحى في هذه السنة، وهذا فيه شيء من الشهرة، وربما يكون فيها شيء من التفاخر، فأقول: أضحيتي أعطتني كذا كيلو من اللحم، وأنت أضحيتك كم أعطتك؟ فهنا ندخل في التفاخر والتباهي.

لكنه اختار الطريق الصعب الذي ينبغي أن يسلكه كل مؤمن، فإذا ضحّى مرة يكون قد عمل ما عليه، لأن الأضحية سنّة، واتفق العلماء على أن المسلم يجتهد أن يفعلها ولو مرة في العمر، فإذا عمل هذه المرة ثم رأى شيئاً أولى فهذا أفضل.

كذلك الحج، هو حجّ حجة الفريضة، فهل الأفضل أن يُكرر الحج أم ينفق المال على الفقراء والمساكين والمحتاجين؟! الأفضل أن ينفقه على الفقراء والمساكين والمحتاجين.

سيدنا عبد الله بن المبارك رضي الله عنه خرج للحج ومعه وفد، وكان حج نافلة، فوجد امرأة تلتقط بطة مَيْتة من على قمامة، فسألها: لماذا أخذتها؟ وكانت فقيهة، فقالت: أحلت لنا المَيْتة، فقال لها: ولم؟! قالت أنا عندي ثلاث بنات، وأنا وبناتي منذ ثلاثة أيام لم يدخل في بطننا طعام، فأحلّ الله لنا المَيْتة.

فجاء بالقائم على أمور رحلة الحج، وقال له: ماذا معك من الأموال؟ قال كذا، قال: وماذا يكفيننا من المال للرجوع؟ قال: يكفيننا كذا، قال: دع ما يكفيننا للرجوع، والباقي كله أعطه لهذه المرأة، ولن نحج في هذا العام، وكان يحج عاماً ويغزو عاماً.

وبعد أن رجع الحجيج من الحج فوجئ أنهم جاءوا يزوروه، جماعة منهم من يقول له: أنا رأيتك في عرفات، ومنهم من يقول له: رأيتك عند رمي الجمرات، ومنهم من يقول له: رأيتك في الطواف، ومنهم من يقول له: رأيتك في السعي، وهو صلى العيد مع الناس ولم يخرج.

فيقول: احترت في هذا الأمر، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلّم في المنام، وشكوت له حيرتي، فقال: يا عبد الله إنك لما أكرمت هذه المرأة أرسل الله ملكاً في صورتك وهيئتك يحج عنك إلى يوم القيامة.

فمن حج عنه ملك فكم تساوي هذه الحجة؟! ومن منا يستطيع أن يعمل عمل الملك؟! لا أحد، فلا شواغل ولا ومشاغل ولا هذا ولا ذاك،

وحسن نوايا وطوايا على الدوام.

هذا اسمه الفقه في الدين، يعني فقه الأمر الذي ينبغي أن يفعله، والأمر هنا هل يذهب للحج ويترك هذه المسكينة تموت هي وأولادها؟!!! الأولى ما فعله.

فزوجك رجلٌ فقيه، لأنه ضحى مرة، ثم بعد ذلك توجه بضمن أضحيته ليمسح بؤس اليتيم، وألم المريض، وعناء الفقير، وهذا هو جوهر ديننا الحنيف، نسأل الله أن يوفّقنا لذلك أجمعين.

السؤال الخامس: أرجو من سيادتكم شرح عبارة: (القلب مع الله حتى ولو كان الجسد مع غيره) وهل للقلوب أعمال مثل أعمال الجوارح، وهل هي فرضٌ على كل مسلم؟

الإجابة على هذا السؤال واضحة تمام الوضوح، فالإنسان ثنائي التكوين، له جسد ظاهر، وله حقائق باطنة هي التي تسيّر هذا الجسد، وتجعل في العمل الذي يخرج منه الروح والحياة، فالإنسان إذا صلى بجسده والقلب مشغول ببيته، أو في العمل أو في الشارع، هل تُقبل هذه الصلاة؟ لا.

الإنسان في الصلاة بالجسد يقف، ويقرأ، ويركع، ويسجد، ويجلس للتشهد، لكن روح هذا العمل الإخلاص، وبدون الإخلاص لا يُقبل العمل، وهل الإخلاص عمل من أعمال الجسم أم من أعمال القلب؟ أعمال القلب.

روح الصلاة التي بها القبول عند الله الخشوع، وهل هذا عمل من

أعمال الجسم أم عمل من أعمال القلب؟ من أعمال القلب: " قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ " (١-٢ المؤمنون).

وكما وضحنا قبل ذلك أن روح أي عمل، والتي بها تحقيق الأمل؛ النية، فكل عمل بدون نية على صاحبه بلية.

وما محل النية؟ القلب، فالنية أولاً، وهذا عمل أساسي من أعمال القلب، والحضور والخشوع والخشية والخوف من الله والحب والشفقة والعطف والحنان والرأفة والرحمة، كل هذه أعمال القلوب.

الأجسام تنفذ الأعمال الظاهرة، فإذا كان القلب في غيبة، فالأعمال التي يعملها الإنسان بظاهره ينطبق عليها قول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي رآه يصلي في مسجده وقال له:

{ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ثَلَاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحْسِنُ غَيْرَهُ فَعَلَّمَنِي، فَقَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا }^٤

الرجل كان عاقل، لأنه طلب أن يتعلم، فعلمه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الهيئة الظاهرة والباطنة التي بها تصح الصلاة.

ولذلك بعض السادة العلماء، وبعض الناس العوام عندما يكون همه كله في الهيئة الظاهرة، مع أن الله كما قال صلى الله عليه وسلم:

^٤ البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ }
°

فالهئية الظاهرة شرعية ولا بد منها، ولكن يصحبها لكي تتم وتصلح الهئية الباطنة.

إذاً أعمال القلوب هي الأعمال التي بها نيل القبول ونيل الرضا عند حضرة علام الغيوب سبحانه وتعالى.

السؤال السادس: ما أفضل عمل يغفر الله به للإنسان ذنوب عام مضي؟ وما أفضل عمل يفتح به الإنسان عاماً جديداً؟

لا يوجد عمل يستوجب الإنسان به غفران الذنوب أفضل من التوبة النصوح، والإكثار من الاستغفار للعزير الغفار سبحانه وتعالى، لأن الله تعالى يقول في حديثه القدسي:

{ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَعْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
فَاسْتَغْفِرُونِي أَعْفِرْ لَكُمْ }^٦

ويقول:

{ يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي
شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً }^٧

ولذلك العبد الذي يريد الله عز وجل أن يجعله من أهل قربه ووده، هو الذي يوفقه للتوبة والاستغفار على الدوام آناء الليل وأطراف النهار.

^٥ صحيح مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه

^٦ صحيح مسلم والبيهقي عن أبي ذر رضي الله عنه

^٧ صحيح مسلم والترمذي عن أنس رضي الله عنه

ولا يرى لنفسه استغفاراً، وإنما يرى توفيق الله له إذ أعانه على هذا الاستغفار، ولذلك قال رجلٌ للسيدة رابعة العدوية: هل لو تبتُ يتوب الله عليّ؟ قالت: بل لو تاب الله عليك لتبت، فقال لها: ما الدليل؟ قالت: قول الله: " ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا " (١١٨ التوبة).

وقالت: استغفارنا يحتاج إلى استغفار، لماذا؟ لأنني أستغفر وأرى نفسي أستغفر، وأرى نفسي قدمت عمل، وأريد - ومعدرةً في العبارة - أن أحاسب الله على جزاء هذا العمل، فأنا عملت كذا وأريد الأجر. على ماذا تؤجر؟! انظر ماذا عملت وبماذا أعانك الله تبارك وتعالى عليك؟! حتى تعرف فضل الله عليك: " وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا " (٢١ النور).

أما أفضل عملٍ يستفتح به الإنسان العام الهجري الجديد، أن يستفتح بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) لأنها خير ما استفتح به الله عز وجل آيات كتابه.

وكان بعض السادة الصالحين السابقين، وكانت لهم بصيرة نافذة، فكان الواحد منهم يجلس في أول يوم من الهجرة بعد صلاة الفجر يكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) مائة وأربعة عشر مرة، بعدد ذكرها في المصحف في ورقة، ويكرر ذلك، وهذا الورق أعظم حجاب يحفظ لابسه من أهوال الدنيا، ومن شر الشياطين، ومن أسوء أهل الجنس أجمعين.

وكانوا يظنون على هذا الوضع حتى صلاة الظهر، وهذا كان من ضمن ذكرهم طوال النهار، يشتغل في البداية بسم الله الرحمن الرحيم، وهو يكتبها ويقراها، فهي خير استفتاح للعام الهجري الجديد بعد التوبة.

ولذلك الإمام ابو العزائم رضي الله عنه جعل من ضمن أوراده بعد صلاة الصُّبح تكرار (بسم الله الرحمن الرحيم) خمس وأربعون مرة، لماذا؟
لستفتح اليوم بـ (بسم الله الرحمن الرحيم).
وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم